الفصل الثاني

لا هجرة بعد الفتح

أولاً : جهاد ونيَّة.

ثانيًا : مقاصد الهجرة.

ثالثًا : إنها ستكون هجرة بعد هجرة .

رابعًا : دلالات الهجرة.

الحمد لله رب العالمين، الذي تواضع كل شيء لعظمته، وذُلَّ كل شيء لعزته، واستسلم كل شيء لإرادته، تبارك من في السماء عرشه، تبارك من في الحياة مشيئته، تبارك من في الممات حكمته، لا إله إلا أنت، أنت الأول فلا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، وأنت الظاهر فلا شيء فوقك، وأنت الباطن فلا شيء دونك.

لا إله إلا أنت، كاشف الهم، مفرج الغمِّ، مجيب دعوة المضطرين، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، لا إله إلا أنت، تسبح الأنهار بعظمتك، فأنت تقلب الليل والنهار، وأنت بقدرتك من خلق الخلق وأحصاهم عددا، وأنت بعظمتك رزقت الخلق ولم تنس أحدا.

والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، والمكان المشهود وصاحب الكرم والجود، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد عدد ما أحاط به علمك، وجرى به قلمك، وشهدت به ملائكتك، وأحصاه كتابك الكريم.

أولاً: جهاد ونيَّة:

إن مقاصد الهجرة متعددة، متفرقة في اتجاهات، ولهذا كان لا بد لنا أن نفهم مراد الهجرة الصحيح من الكتاب والسنة ، فهذا أحرى أن يُتَّبَع ، فقد روى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»[1].

وثبت عنه أيضًا في حديث «مجاشع بن مسعود» أنه جاء بأخيه ، لكي يبايعه النبي الكريم ﷺ علي الهجرة فقال: « قَدْ مَضَتِ الْهِجْرَةُ بِأَهْلِهَا »[2] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الجهاد والسير ، باب : وجوب النفير ، وما يجب من الجهاد والنية ، رقم (٢٨٢٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب : الإمارة ، باب : المبايعة بعد فتح مكة ، رقم (١٨٦٣).

وهذا يعني أن كل دار صارت دار إسلام، فلا هجرة منها، ولكن جهاد ونية، فبقى الجهاد، والمقصود به: جهاد النفس، وجهاد الكفار المعتدين.

والنية الحسنة، وأعمال البر والخير موجودة، أما عن قول الرسول الكريم ﷺ «وإذا استنفرتم فانفروا» أي: إذا أمركم ولي الأمر بالجهاد ؛ فانفروا.

والواضح من الحديث الشريف أن هناك مقاصد أخرى للهجرة وأنواعًا متعددة، تغير حياة المسلم إلى الأفضل كما غيرت الهجرة النبوية الأمة قبل ذلك، إنها الهجرة في مسماها، ولكن مردها عند الله ورسوله وإلى الله ورسوله ، فإن كانت كذلك فإنها تذهب بالمسلم إلى القوة من الضعف ، وتسافر به من الوهن إلى السمو والرقي ، وتهاجر به من الضلال إلى الهدى، ومن الشك إلى اليقين ، ولأهمية هذه الهجرة كان لا بد أن نفهم مقاصدها وطرقها وغايتها.

ثانيًا : مقاصد الهجرة :

الهجرة حركة وفعل في المكان و الحال، تنافي السكون والجمود؛ أي: هجر الكفر والفسوق والفساد، وانطلاق نحو بناء صرح الإيمان والطاعة لرب العالمين.

والصلاح والإصلاح والعمران حركة تحتاج لزادٍ وطاقةٍ، وبذل وتضحية، وأحيانًا لتجميع طاقات الخير الموجودة في مجتمع الجاهلية؛ ليملك أهل الإصلاح الاستقلال، وحرية القرار في بناء الذات؛ للانطلاق نحو تحرير الإنسان، وفتح مجالات من الخير لينتفع بها العباد والبلاد، فالهجرة المكانية من مكة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، والتي توجت بهجرة رسول الله ﷺ واستمرت زمانًا لمدة ثماني سنوات إلى عام الفتح، أسست لهجرة معنوية دائمة في قلوب وعقول وسلوك المؤمنين إلى قيام الساعة، حيث يهجرون الشرك إلى التوحيد، ويهجرون المعصية إلى الطاعة، ويهجرون البدعة إلى السنة، وقبل كل ذلك يهجرون الفساد إلى الصلاح، والفرقة إلى الوحدة، وأحوال الذلة إلى مراقي العزة، أو هكذا ينبغي أن تبقى الهجرة في الوعي والذاكرة، فالمعنى المادي والمعنوي في الهجرة كانا متلازمين من البداية .

وقد قسم العلماء الذهاب في الأرض (الهجرة) إلى قسمين : هربًا وطلبًا.

أولاً: هجرة الهرب:

وتنقسم إلى ستة أقسام :

أ - الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام، وهي باقية إلى يوم القيامة .

ب - الخروج من أرض البدعة، والدليل على ذلك قول ابن القاسم : سمعت مالكًا يقول: «لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُقِيمَ بِأَرْضٍ يُسَبُّ فِيهَا السَّلَفُ»[1].

ج - الخروج من أرض يغلب عليها الحرام، لأن طلب الحلال فريضة على كل مسلم .

د - الفرار من الإيذاء في البدن، وهذا من فضل الله تعالى حيث أباح الله تعالى لمن خشى على نفسه الفرار بنفسه والنجاة ، وأول من فعل ذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا لوط عليه السلام حين خافا من قومهما : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (العنكبوت:٢٦). وكذلك أيضًا موسى عليه السلام ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (القصص : ٢١).

هـ - الخروج، وهو الخروج من خوف المرض من البلاد الوخمة إلى أرض النزهة .

و - الخروج، خوف الأذية في المال، فإن حرمة مال المسلم مثل : حرمة دمه.

ثانيًا: هجرة الطلب :

وينقسم إلى قسمين أيضًا : طلب الدين ، وطلب الدنيا .

---

(١) انظر الكيلاني الأردني ، د/ ماجد عرسان ، أهداف التربية الإسلامية ، (١ / ٢٣٦) .

أما طلب الدين : فينقسم إلى تسعة أنواع :

أ - سفر العبرة ؛ قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (الروم : ٩).

وقد طاف ذو القرنين في الدنيا؛ ليرى عجائبها.

ب - سفر الحج.

ج - سفر الجهاد.

د - سفر المعاش.

هـ - سفر التجارة والكسب، وهو جائز لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة :١٥٦).

و - طلب العلم.

ز - قَصْدُ البقاع الشريفة، حيث قال الرسول الكريم ﷺ «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»(١).

ح - قصد الثغور؛ للرباط بها .

ط- زيارة الإخوان في الله تعالى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: « أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب : في فضل الحب في الله ، رقم الحديث (١٩٨٨).

وكذلك أيضًا هناك هجرة الزوج لزوجته؛ إذا تحقق نشوزها، قال الله تعالى: ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ (النساء : ٣٤).

ومن ذلك أيضًا هجرة أهل المعاصي في المكان، والهجرة شاملة وهي هجرة ما نهى الله تعالى عنه.

ثالثا: إنها ستكون هجرة بعد هجرة:

إن باب الهجرة باق مفتوح ما بقي باب التوبة مفتوحًا ، وباب التوبة لا يُسَدُّ إلا بطلوع الشمس من مغربها، فالهجرة لم تنته بعد، وإن انتهت باعتبارها حدثا، فهي باقيةٌ ببقاء الأمة إلى قيام الساعة، وأعلى مراتبها الهجرة من الكون إلى المُكَوِّن، وأول مراتبها الهجرة من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلال إلى الهدى، ومن المعصية إلى الطاعة، يقول الرسول الكريم ﷺ: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة»[1]، وقال ﷺ: « لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا قُوتِلَ الْكُفَّارُ»[2].

وبما أن الجهاد لا ينقطع، لقول الرسول ﷺ : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ وَلَا نُخْرِجُهُ مِنْ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ» [3] .

فالهجرة كذلك لا تنقطع، فما علينا إلا أن ننظر في سيرة المهاجرين الأوائل، ونتمعن فيما مدحهم الله به؛ لندرك من ذلك أن الهجرة ماضية باقية ما بقي الكفر والإيمان، وأن الله تعالى ترك لنا بابًا مفتوحًا لنيل رضاه ، ولإمكانية السير على تلك الخطى المباركة التي ساروا عليها بشرط اتباعهم بإحسان،

---

(١) أخرجه أبو عروة البصري (معمر بن راشد) في الجامع ، (١١ / ٣٧٦) .

(٢) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب : البيعة، باب : ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة ، رقم (٤١٧٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب : الجهاد ، باب : في الغزو مع أئمة الجور ، رقم (٢١٧٠) .

يقول الله ﷻ في ذلك: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

ويزيد الرسول ﷺ من تأكيد هذا الأمر حيث يقول كما في رواية أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ (الأنعام: ١٥٨) »[1].

إن الهجرة المادية قد انقطعت بفتح مكة، ولكن بقيت أنواع من الهجرات عمَلا مستمرًّا، دائمًا ماضيًا في حياة الأفراد إلى الموت، وفي حياة الأمة إلى قيام الساعة؛ لكي لا يُحْرَم الخَلَفُ من الأجر العظيم الذي فاز به السَّلَفُ، حتى يكون الهدف هو : إعلاء كلمة الله تعالى، واعتبارها مرجعًا وحكمًا لا يعلو عليه شيء من أهواء النفوس وأحكام الجاهلية، وهكذا يتضح لنا أن للهجرة معانيَ تختلف باختلاف الزمان والمكان والإنسان .

وأول هذه المعاني: التوبة بمعناها الشامل، والرجوع إلى الله تعالى بالقلب السليم، والتوبة المطلوبة اليوم يجب أن يغلب فيها الهمُّ الاجتماعي والسياسي على الهمِّ الفردي؛ إذ التوبة الفردية لا تكفي وحدها لإصلاح أحوال المجتمعات الفاسدة على كل الأصعدة، بل لا بد من توبة عامة؛ لكي تستقيم الأمور .

إن التوبة السليمة تنقي القلوب من كل ما هو مشين، وتطهر مجتمعات المسلمين من كل مظاهر الانحراف والفساد، قال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١)، فيجب على المؤمنين أن يفروا من الله تعالى إليه يوميًّا اقتداءً بالصالحين الذين جعلوا الله غايتهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : تفسير القرآن، باب : لا ينفع نفسا إيمانها، رقم (٤٦٣٥).

وهدفهم، قال الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾ (الذاريات:٥٠)، فإذا كان أغلب الناس اليوم يهاجرون من أجل الدنيا، ولأجل الرفاهية، فالمؤمن ينبغي أن تكون له وجهة أخرى غير وجهتهم، فيقصد بأعماله ربَّه الكريم.

إن الهجرة الحقيقية سعي متواصل حثيث في رحلة القرب من الله تعالى، وهي تحول داخلي مقرون بعمل خارجي، فعن مُعَاوِيَةُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ الْهِجْرَةَ خَصْلَتَانِ: إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالْأُخْرَى أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى الله وَرَسُولِهِ ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتْ التَّوْبَةُ ، وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ الْمَغْرِبِ ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ»(١).

وقد قال ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»(٢).

إن جهاد المسلمين في سبيل الله تعالى بأنفسهم وأموالهم ، وصد هجمات الكفار العسكرية، والفكرية، والسياسية، والاقتصادية، والوقوف أمامها بحزم ، ومواجهتها بالحجة والبرهان - نوع من أنواع الهجرة الباقية، «فقد سأل رجل الرسول ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ: إِيمَانٌ بالله وَرَسُولِهِ ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ » (٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب : حديث عبد الرحمن ابن عوف الزهري، رقم (١٦٧١) .

(٢) أخرجه : البخاري في صحيحه، كتاب : الجهاد والسير ، باب : وجوب النفير ، وما يجب من الجهاد والنية ، رقم (٢٨٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الإيمان ، باب : من قال إن الإيمان هو العمل ، رقم (٢٦).

ومن أنواع الهجرة : الجهاد في سبيل الرزق، وطلب العيش، والكدح على النفس والأهل، وتوفير سبل العيش الكريم لهم من كسب حلال طيب، فعَنْ مُجَاهِدٍ ، قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُهَاجِرَ إِلَى الشَّأْمِ، قَالَ: «لاَ هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ، فَانْطَلِقْ فَاعْرِضْ نَفْسَكَ، فَإِنْ وَجَدْتَ شَيْئًا وَإِلَّا رَجَعْتَ»[1]، وجهاد النفس، وتزكيتها بالإيمان، وحصرها عن المنكرات والرذائل، وهجر وساوسها وهواجسها، وقمعها ، وردها إلى فطرتها وأصل خلقتها، ومواجهة رعوناتها وميولاتها، والوقوف أمامها بحزم، فعن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ، قال الرسول ﷺ : « الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ»[2].

إن المسلمين اليوم في أشد الحاجة إلى جهاد شامل في كل الميادين للنهوض بأوضاع الأمة ، كما أن من معاني الهجرة أيضًا: تصحيح النيات باستمرار، للتأكد من الإخلاص لله تعالى قبل القيام بالأعمال، وعند القيام وبعد القيام ، فمتى وجدت النية الصالحة في القلب توجهت الجوارح لله تعالى، وزكت الأعمال، ورجحت في الميزان عند الله ﷻ، وإن لم تصحب النية الصالحة الأعمال؛ أصبحت هباءً منثورًا، وإن كانت كالجبال.

ومن معاني الهجرة أيضا: هجر رفقاء السوء، وقرناء الغفلة والمعاصي، وخلان الرذيلة والمنكر، ومصاحبة الصالحين المجددين للدين والإيمان، والالتحاق بركب الصالحين الذين تظهر عليهم علامات الصلاح، وسمات الاستقامة، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩)، وقال النبي ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ، وَقَالَ مُؤَمَّلٌ مَنْ يُخَالِلُ»[3] فالمؤمنون الأولون هجروا مشركي مكة ، وصاحبوا رسول الله، وفازوا بصحبته .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : المغازي، باب: وقال الليث حدثني يونس، رقم (٣٩٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل من مات مرابطًا، رقم (١٦٢١)

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، مسند : باقي مسند المكثرين، باب : مسند أبي هريرة ، رقم (٨٠٢٨).

ومن معانيها الباقية: هجر حياة الفردية، وعيشة الانعزال والحياد؛ ومعايشة أحوال الأمة التي تعيش بها، ومعاناة همومها والتطلع إلى آمالها، وإيثار المصلحة الجماعية، والسعي في الصالح العام، والاندماج في سلك جماعة المؤمنين، المجاهدين، المتمسكين بالحق المدافعين عنه، الذين يغارون على ثوابت الأمة ومقدساتها، ويقومون بواجب نصرة الدين، ويحاولون بناء مشروع الأمة المنهار، وإعلاء رايتها، ورفع قيمتها، واستعادة مكاسب الهجرة، فحظ المؤمن من رضوان الله تعالى هو الذي فاز به المهاجرون الأول، والذي ينتظر بشرط أن يفعل ما فعلوا من هجرة ونصرة، وجهاد بالنفس والمال، وبكل الإمكانيات، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۖ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الأنفال: ٧٤، ٧٥)، وعَنْ رَسُولِ الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ»[1].

ومن معاني الهجرة التي لا تنقطع: هجر الظالمين الذين لا يتقبلون الإسلام ولا ينتصحون له، وهجر مخططاتهم ومناهجهم، وبرامجهم المعارضة للإسلام المبعدة له عن واقع الحياة المسببة الذلة والاستسلام، والانهزام والتبعية، وترك الميل والركون إليهم وموالاتهم، وهجر السكوت عن جرائمهم، وحربهم الشعواء على الإسلام، واستضعافهم وإقصائهم للمسلمين الصادقين، وهجر أنظمتهم الفاسدة وتكتلاتهم الضالة، وأحزابهم العلمانية التي أظهر الواقع أنها تطمس الدين، وتخذل المسلمين، وتوالي الكافرين، وتُعادي الصادقين، وتعمي عليهم برامجهم ومشاريعهم، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، مسند الأنصار رضي الله عنهم ، باب : حديث معاذ ابن جبل ، رقم (٢٢٠٢٨).

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (هود: ١١٣)، وقال الله لرسوله الكريم ﷺ آمرًا له بترك الكافرين: ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (المزمل: ١٠).

ومن معانيها أيضًا: هجر الراحة، والخمول، والتقاعس، والبخل، والترف إلى التضحية من أجل هذا الدين بالنفس، والمال، والأهل، واستلهام روح الامتثال والتضحية التي كانت تميز الصحابة في كل مرحلة من مراحل الإسلام؛ اقتداءً بالصحابة الذين خدموا الإسلام بكل ما يملكون، فهذا صهيب ﷺ ترك كل ماله للمشركين مقابل السماح له بالهجرة، وأبو بكر الصديق ﷺ سخر نفسه، وأهله، وماله وجهده من أجل انتصار الإسلام، وذاك مصعب بن عمير الذي تخلى عن حياة الترف والبذخ، وعاش للإسلام.

إن الهجرة هي: هجر التفرق، والتمزق، والتشتت، والاختلاف الظاهر على المسلمين إلى الائتلاف والوحدة والتعاون، والوقوف صفًا واحدًا في وجه الأعداء الذين يواجهوننا متوحدين، وترك كل ما يقطع الرحم، ويباعد المسلمين ويشتت وحدتهم، ويمزق صفهم، ويفرق كلمتهم، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وقال تعالى أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف: ٤).

وهجرة المحرمات، والمعاصي، والابتعاد عن الفواحش، والمنكرات والذنوب صغيرها وكبيرها، وكل ما ينزل بالمرء عن درجات التكريم الإلهي، وترك الانحرافات الفكرية والأخلاقية، وكل قبيح من قول أو فعل، فقد قال الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ (المدثر: ٥).

إن الهجرة هي ترك مظاهر اللهو واللعب، والأحقاد، والضغائن، وإيذاء المسلمين، وهتك أعراضهم، واستباحة حرماتهم باليد أو باللسان، وعدم استغلال أموالهم، والتصرف فيها بطريقة غير شرعية، واجتناب ظلمهم والاعتداء على حقوقهم إلى خدمتهم ونصحهم، والدفاع عنهم، وتحقيق النفع لهم، فعن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ

عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ»[1] . وقيل في شرحه: «والمقصود من الهجرة : القرب إلى الله تعالى، ولا يتم ذلك بدون ترك الخطايا، فالمهاجر الحقيقي الواصل لمطلوب الهجرة من ترك الخطايا»، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْمُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى الله عَنْهُ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[2]، وقال العلماء في شرح هذا الحديث، «حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه»، وعن عبد الله بن عمرو قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَوِيٌّ جَرِيءٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنَا عَنْ الْهِجْرَةِ إِلَيْكَ أَيْنَمَا كُنْتَ أَوْ لِقَوْمٍ خَاصَّةً أَمْ إِلَى أَرْضٍ مَعْلُومَةٍ أَمْ إِذَا مُتَّ انْقَطَعَتْ قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ يَسِيرًا ، ثُمَّ قَالَ أَيْنَ السَّائِلُ؟ قَالَ هَا هُوَ ذَا يَا رَسُولَ الله قَالَ: «الْهِجْرَةُ أَنْ تَهْجُرَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، ثُمَّ أَنْتَ مُهَاجِرٌ، وَإِنْ مُتَّ بِالْحَضَرِ »[3].

إن من أهم الهجرات هجرة أماكن الشر والظلم، والتزوير والمواطن التي ترتكب فيها المحرمات كمجالس الخمر والقمار، والغناء والفجور ، ومجالس الغيبة والنميمة إلى المساجد ومجالس العلم والإيمان، فمن جلس مجلسًا تُتَنَاول فيه المحرمات فهو مشارك لأهله في الإثم ، وإن لم يفعل ما فعلوا، لقول الله ﷻ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٠) فالمؤمن الحق هو الذي يترك السوء، وأهله ومكانه؛ اقتداءً بالرسول الكريم وأصحابه الذين هجروا المشركين وبيئتهم .

إن المؤمنين هم الذين يثبتون على الحق، ويلتزمون به ويدعون إليه ، ولا يؤذون أحدًا، ولا ينتهكون المحرمات، ويعبدون الله حق عبادته، ويسعون

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب : الفتن ، باب : حرمة دم المؤمن وماله ، رقم (٣٩٣٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (مسند الإمام أحمد)، مسند المكثرين من الصحابة ، باب : مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ، رقم الحديث ٦٩١١

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن عمرو ابن العاص ، رقم الحديث ٧٠٩٤ .

في الأرض بالإصلاح والتعمير في الوقت الذي يكثر فيه الإجرام وينشط دعاته، وتزداد الفتنة والاضطرابات، وتنتشر الرذائل والمحرمات، وتهان الكرامات، حينذاك يكون تشبث المرء بدينه وتركه لما يغضب الله ﷻ، واختياره لطريق الله المستقيم واستقامته عليه، كل هذا يعطيه ثواب الهجرة، ويرفعه إلى درجة المهاجرين الأوائل، قال الرسول البشير ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»[1] والهرج: هو الفتنة، والقتل، والاضطراب.

إذن فعلينا أن نهجر الأخلاق السيئة التي وفدت علينا مع ركب الحضارة الزائفة التي أراد لها أصحابها أن تكون دنيا بلا دين، وحياة بلا أخلاق ، وأن نتجنب السقوط في مستنقعات الرذيلة ومفاسد العصر التي هي من سمات الجاهلية الحديثة، مثل: التدخين، والمخدرات، والخمور، والعري، والغناء، والزنا، وكل ما يضر بالدين والمال والصحة والخلق والسمعة، وأن نقف لمخططات الأعداء بالمرصاد، وأن نكون منها على بينة؛ لكي لا نعاني مثلهم من مشاكل أخلاقية، واجتماعية، وأمراض نفسيَّة .

ثم تأتي هجرة الغفلة، وهي عدم الابتعاد عن الله تعالى، وعدم الفتور عن ذلك باللسان والقلب سرًا وجهرًا، ليلا ونهارًا، قيامًا وقعودًا وعلى الجنوب، بانفراد وفي الملأ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ ﴾ (الأحزاب).

فلا يتم إسلامنا ولا يزيد إيماننا، ولا يكمل إحساننا إلا إذا هاجرنا بقلوبنا وجوارحنا إلى الله تعالى في السر والعلن.

والتوبة الصادقة الدائمة في حياتنا كلها، تكون من خلال استصحابنا الله في قلوبنا ووجداننا في رحلتنا إليه ﷻ، وتوكلنا عليه ، وأخذنا بأسباب النصر، وألا نأبه بعراقيل الأعداء وكيدهم، ولا نحزن لشيء أصابنا مهما كان؛ اقتداءً بالرسول الكريم ﷺ .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: الفتن وأشراط الساعة ، باب: فضل العبادة في الهرج ، رقم (٢٩٤٨).

فهذه أنواع من الهجرات الباقية التي يقدر عليها كل مسلم، وما فيها من نصب ولا تعب، ولا تترك آلاما في النفوس، ولا خسارة في الأموال، ولا وحشة في الأهل ولا غربة في الأوطان، فإذا تمسك المسلمون بهذه المعاني وساروا على خطواتها؛ ازداد إيمانهم وتماسك بنيانهم، وقويت شوكة الإسلام وتجمع شمل الأمة المُمَزَّق، وعادت لها عزتها المفقودة، وطهرت الأرض من الفساد والمفسدين، واندحر الباطل وأهله، وعادت الحاكمية لله الحق، وتركت قوانين الكافرين، وحررت أراضي المسلمين من المُتَسَلِّطين، وحررت النفوس من الجبابرة الطغاة، ورجعت الكلمة للصالحين الراشدين، وَرُفِعَت راية الحق عالية، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله تعالى .

وبهذه الأنواع من الهجرات يتضح للمسلم سبيل الهدى من سبل الضلال، وبها يكمل له دينه، وتسلم استقامته من الزلل والانحراف، وبها يتجدد الدين وتصفو معالمه، وبها الإسلام ينتصر، وبها يبقي ويستمر.

إن المؤمن لا يستطيع أن يثبت على دينه، ويستقيم على أمره، ويحفظ إيمانه من الشوائب والمكدرات أمام الفتن إلا بالهجرة؛ لأن الإيمان الخالص يستلزم الهجرة ويقوم عليها.

رابعًا : دلالات الهجرة إلى الله تعالى:

ولكن ما دلالات الهجرة في حياة كل مسلم؟ وكيف تكون الهجرة بهذه الدلالات باعثة على العمل اجتهادًا في طاعة الله تعالى؟

إن الهجرة باقية مستمرة لا تنقطع حتى قيام الساعة، كما في حديث النبي يقول ﷺ:«لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا »[1].

إن الهجرة سلوك مستمر متجدد في حياة المسلم، وفرار إلى الله تعالى بالمسارعة، والتسابق إلى الخير، وإلى كل عمل صالح يجلب مرضاته ﷻ،

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب : الجهاد، باب: في الهجرة هل انقطعت؟ رقم (٢٤٧٩).

الهجرة هروب مما يغضب الله تعالى ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»[1].

إن المهاجر من وُفِّقَ بتوفيق منه ﷻ؛ لهجر عاداته، وترك مألوفاته مأكلا، ومشربًا، وملبسًا، وقولاً وسلوكًا بنية التقرب إليه عزَّ سلطانه، وطوع نفسه حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به رسول الله ﷺ كما في الحديث الشريف، وخرج من سلطان شهواته.

وهذه بعض دلالات الهجرة التي توضح طرقها وغايتها:

١- المهاجر من هجر لذة النوم، وتجافى جنبه عن الفراش، وخاصة عندما يسمع نداء الحق والفلاح : "الصلاة خير من النوم" .

٢- المهاجر من هجر الإسراف في الأكل والشرب؛ ليبقى نشيط القلب والبدن على الطاعة وعمل الخير، فعن الْمِقْدَام بْنَ مَعْدِ يكَرِبَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ، لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»[2].

٣-المهاجر من هجر الغفلة والغافلين، وانتظم في سلك الراجين؛ ابتغاءً لوجهه ﷻ، وينتهي عن صحبة المنفرط أمرهم، المشتت شملهم ، كما جاء في سورة الكهف: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب :الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه، رقم الحديث (١٠) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب : الأطعمة، باب : الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع ، رقم (٣٣٤٩).

٤- إن المهاجر من هجر النفاق وأهله؛ ليكون مع الصادقين، ويعمل عملهم؛ استجابة لأمره ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩).

٥- المهاجر هو من هجر سيئ الخلق، وفظاظة الطبع، وغلظة القلب في التعامل مع الزوج والأولاد والجيران والناس أجمعين؛ لأن المؤمن ينال بحسن الخلق عظيم الدرجات ، كما أخبر بذلك الصادق الأمين ﷺ، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الآخِرَةِ ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَجَةٍ فِي جَهَنَّمَ». (١)

٦- المهاجر من هجر الدنيا، وإغراءاتها، وتحرر من تأثيرها، وابتغى بها وجهه تعالى: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (فاطر: ٥).

٧- المهاجر من هجر الكسل، وأَهَمَّه واقع جهل المسلمين بدينهم وقرآنهم؛ فعقد العزم على حفظ كلام ربه تعالى، وتعليمه لغيره، كما علمنا النبي ﷺ «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »(٢).

٨- المهاجر من هجر البطالة، وشمر عن ساعده، وعلم الناس أسباب الكسب الحلال؛ إرضاءً لله ﷻ، وصونًا لماء وجه المؤمن، وعزة الأمة، وهذا ما نصت عليه الشريعة من حب الله تعالى للعامل، كما في الحديث النبوي الشريف، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُحْتَرِفَ»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١ / ٢٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : فضائل القرآن ، باب : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، رقم (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه الألباني، عن عبد الله بن عمرو (ضعيف الجامع)، رقم الحديث (١٧٠٤) .

٩- المهاجر من اهتم لحال المسلمين، فسار بينهم بالحسنى، والكلمة الطيبة؛ تأليفًا للقلوب، وجمعًا لما انفرط من عقد الأمة، ولو برفع اليد في جوف الليل، وفي كل سجود يرفع شكوى المسلمين إلى الباري ﷻ؛ ليكشف الغمة ويقرب الشقة، وينصر دينه وعباده، حتى لا يُرد عليه انتسابه للمسلمين ؛ لأنه لم يهتم بأمرهم ، وفي الحديث الشريف : « مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْـمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُم»[1].

١٠- المهاجر من أخلص القصد، واكتسب الخبرة والمهارة التي تؤهل المسلمين لمستقبل التمكين في الأرض؛ أخذًا بالأسباب .

هذه بعض المنارات الحقيقية لهجرتنا إلى الله تعالى ولرسوله ﷺ في زماننا، فبها نسلك طريق السابقين عسى أن ننتظم في سربهم، ونكون ممن اتبعهم بإحسان، يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:١٠٠).

وإخلاص القصد كما في الحديث الشريف: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ »[2].

فيا سعادة من تكون هجرته إلى الله تعالى لا لدنيا يصيبها، وكل ما دونه ﷻ فهو دنيا ، وبالطبع فإن الهجرة إلى الله تعالى وترك شهوات النفس الدنيا ليس بالأمر الهين بل يحتاج إلى المجاهدة الشديدة كما قال رسول الله «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[3] ولذا فالهجرة إلى الله تعالى تحتاج إلى العزيمة والإرادة والثبات كي نسير خطوات الهجرة بخطوات رصينة.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ، رقم الحديث (٥٦/ ٣) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : بدء الوحي ، باب : بدء الوحي ، رقم (١) .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ، (٤ / ٢١٧٤) رقم (٢٨٢٢)